

## بدائع الشعر الشعبي القطري

### قصة الشاعر الذي تنبأ بغرقه وغرق

بقلم: عبده محمد بركو

عن المجلس الوطني للثقافة والتراث بالدوحة، صدر حديثاً للأستاذ علي عبدالله الفياض والأستاذ علي شبيب المناعي كتابهما المشترك "بدائع الشعر الشعبي القطري" وقام بمراجعته الأستاذ زايد محمد النعيمي.

ويتضمن الكتاب قصائد مختارة لنخبة من أهم شعراء قطر القدامى. يقول مؤلفا الكتاب في المقدمة: "هذه المجموعة المختلفة من أغلب شعرائنا المتميزين هي في الحقيقة النخبة من كبار الشعراء في قطر، أبدعوا قصائد في مختلف الألفاظ والكثير من الموضوعات التي تتعلق بالحياة على أرض قطر، ونحن لم نقصر الاختيار على ناحية معينة أو موضوع شعري معين، بل إن المعيار يقع على القصيدة بحد ذاتها، على أن تكون في سياق المعيار الفني والأدبي الذي يعتمد على الذائقة الشخصية بعيداً عن أي قاعدة أو منهج أو موضوع، فذلك فقد تجد قصيدة الرثاء، أو المدح، أو قصيدة تتحدث عن موضوع شخصي يهم الشاعر وحده، فكل هذه الجوانب يتطرق إليها اختيارنا حسب قيمة القصيدة الفنية وإبداع الشاعر فيها، وتميزها من حيث البناء والمعاني والموسيقى والألفاظ المختارة التي تعبر عن وعي وثقافة الشاعر ذاته وأسلوبه الخاص". (ص4).

وقد تضمن الكتاب قصائد مختارة لنخبة من أهم شعراء قطر القدامى، ومنهم: الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني، والشيخ سعود بن عبدالرحمن آل ثاني، ومحمد الفيحاني، وماجد بن صالح الخليفي، وسعد الشاعر المهندي، وعبدالله بن سعد المسند المهندي، وراشد بن عفيشه الهاجري، وعمير بن راشد العفيشه الهاجري، ولحدان بن صباح الكبيسي، وعبدالله بن غانم البودهيم، وعلي بن إرحمه البودهيم، وصالح بن سلطان الكواري، وحسن الفرحان النعيمي، وعبدالله بن صالح الخليفي، وسعيد بن سالم البديد، وسبت

بوشرود السليطي، وإبراهيم بن محمد الخليفي، وأمان الشاعر، ومرزوق الروقي، وعبدالله بن عامر البوفلاسه، وعبدالمحسن بن فطيس المري، وعبدالرحمن بن محمد الملا الكبيسي، وعبدالله بن محمد بن رحال الفياض، وحمد بن مبارك المالكي، وراشد بن سعد الكواري، وأحمد بن شاهين الكواري.

وسنعرض في هذا المقام قصائد لبعض هؤلاء الشعراء الكبار:

\*الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني

يقدم الكتاب ترجمة تفصيلية لحياة هذا الشاعر الكبير نقتطف منها السطور التالية: "ولد الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني- طيب الله ثراه- مؤسس دولة قطر الحديثة بقطر عام 1236هـ الموافق 1821م، وكان شاعراً وفارساً محباً لعمل الخير والإحسان، يخطب في المصلين يوم الجمعة ويفض الخصومات بين الناس. كان أحد فحول الشعراء في قطر والجزيرة العربية، وله ديوان شعر نبطي طبع عدة طبعات، وكانت الطبعة الأولى في الهند عام 1328هـ- 1910م، وهو أول ديوان شعر يطبع لشاعر نبطي على مستوى الجزيرة والخليج العربي.

وشعره يتسم بالجزالة والسبك والفخامة، وتشيع فيه الألفاظ الفصيحة، والمعاني السامية الجميلة. توفي في الوصيل بقطر عام 1331هـ الموافق 1913م" (10).

ومن قصيدة الشيخ قاسم- رحمه الله- الموسومة ب "ضمّها الثرى" نقتطف الأبيات التالية التي تصوّر لواعج قلبه جرّاء وفاة زوجته:

فكنا تنازعنا القلوب ضحى اللقا

وصبرنا كما ضيرين ولف رباب

وقمنا بها سبع وعشرين حجّة

حليقين عهد ماندوس العتايب

إلى ما قضى الرحمن فينا بما قضى

وصبر على ماجا من الله صايب

وصبر على ماجا من الله طاعة

له الحكم، والتسليم لله واجب  
فلا يعنى جسم مع الناس حاضر  
وقلبه جعل تحت اللحد والنصايب  
وجفن جفاه النوم مائد بالكرى  
يراعي نجوم الليل طالع وغايب  
وعين تهل الدمع من حجر موقها  
كما جدول حامي غروبه صبايب  
وكم عبرة في زفرة ضمها الحشا  
تفككت منها الققول الصلايب  
على جادل مذكرة ضمها الثرى  
وقد كان ضمتها صنوف الأطايب(ص12)

\*محمد بن عبدالوهاب الفيحاني

"هو محمد بن جاسم بن محمد بن عبدالوهاب الفيحاني، ولد بلدة فويرط شمال شرق قطر حوالي سنة 1325هـ، تلقى العلم ودرس القرآن في بلدة دارين، ودرس في المدرسة المباركية بالكويت، ثم عاد إلى قطر، واستقر في بلدة فويرط، حيث عمل في البحر، وفي عام 1449هـ سكن في بلدة الفارية، وهناك تعلق قلبه بحب فتاة من بنات الفارية، فأحبها بكل جوارحه، حباً عذرياً عفيفاً صادقاً ولكن تقاليد الأسرة وقفت عائناً دون زواجه منها لوجود ابن عم لها خطبها ثم تزوجها بعد ذلك، فظل الفيحاني وفيماً في حبه هائماً حتى أرهقه الحب وأضناه المرض، فنقل إلى البحرين لعلاج بالمستشفى الأمريكي فلم يفد العلاج معه، وأخذت حالته تزداد سوءاً إلى أن توفاه الله إلى رحمته سنة 1353هـ ودفن بالمنامة في البحرين.

يعتبر الفيحاني من أبرز شعراء قطر، واشتهرت قصته بين الناس، وأخذت تتردد أشعاره بينهم، حتى عرف على مستوى الجزيرة العربية والخليج العربي.

طبع ديوانه عدة مرات، وتتصف أشعاره بالعذرية وقوة الخيال، وجمال التصوير، وعذوبة الألفاظ، وسلاسة التراكيب، ورقة المشاعر، ورهافة الحس" (ص27).

ومن قصيدته العذرية "وش زلتي" التي قالها مخاطباً الشاعر عمير بن راشد آل عفيشة الهاجري نقتطف للقارئ الكريم الأبيات التالية:

ماجور ياقلب عن الوصل بقيود  
ناصيك عن لاما الحبايب بلايا  
مالاح نجمك مرة بس بسعود  
دوبه على عكس الهوى بالهوايا  
ماجتني الدنيا على حسن مقصود  
مسكين أنا مانلت فيها هوايا  
عيّا العوج ما يعتدل يابس العود  
مكر النوى متناهي في عنايا  
يخطى لخطا غيري وانا فيه مقيود  
وش زلتي ياوقت شنهو خطايا  
الله على صرف النيا عاد بنكود  
عظمي رعاه وسلّ حالي سبايا  
بالي بلا لاما كما الشنّ وجلود  
عيّاب كان أمست أوصالي هبايا  
وتهلّ ماهلّت مقاديمها السّود  
عيني على فرقا الحبايب همايا  
تذرف بلا نايب بواريق ورعود  
ويلاه عادت من بكاها خوايا  
عيّت تغطّ بلذة النوم وتنود  
وتريح لا وامقلتي واعمايا

وتحن في قلبي دواليب وحدود  
ليعات وهموم دوت في حشايا  
حرايق عدت على النار بوقود  
حطت معاليق الضماير لظايا  
\*ماجد بن صالح الخليفي

"شاعر قطري مجيد ولد في مدينة الدوحة عام 1290هـ، في أسرة عريقة غنية معروفة بالأدب والشعر، كان رجلاً تقياً كريم الأخلاق حسن السمائل، طلب العلم على يد عدة علماء، له ديوان شعر طبع عدة طبعات، وجاء في طبعته الأولى مع شاعرين هما "محمد بن عبدالوهاب الفيحاني وأحمد بن علي بن شاهين الكواري، وحمل هذا الديوان عنوان "من الشعر القطري"، وفي طبعته الأولى منفصلاً في ديوان مستقل عمل على جمعه ونشره ابن أخيه المرحوم الأستاذ يوسف بن عبدالرحمن الخليفي عام 1982م، وهو شاعر نبطي وفصيح، إلا أنه في النبطي أقوى منه في الفصيح. توفي شاباً عام 1323هـ ويذكر في قصة وفاته أنه كان في إحدى رحلات الغوص، وفي أثناء إبحارهم متوجهين إلى إحدى المغاصات نظم قصيدته التي مطلعها:

ونيت من هجركم ونة غريق هوى  
في غبة لا يرى بر ولا خشابه

نزل مع أصحابه إلى قاع البحر ليجمع الصدف ويرتفع إلى أعلى، وفي المرة الثالثة أو الرابعة سمع صوتاً يناديه باسمه وهو يلتقط المحار، فسأل البحارة بعد أن صعد إلى سطح البحر هل دعاني أحدكم من قعر البحر؟ قالوا لا. فأراد أن يرجع إلى قاع البحر مرة أخرى فأمسك به أحد البحارة. وقال: لا ترجع. ولكنه أرخى الحبل ونزل إلى البحر ولم يعد، فاجتمعت عليه 25 سفينة يبحثون عنه ولكنهم لم يجده" (60).

ومن قصيدته "ونة غريق" التي تنبأ فيها بغرقه والتي نظمها قبل سويقات قليلة من غرقه نقتطف الأبيات التالية:

ونيت من هجركم ونة غريق هوى

في غبّة لا يرى برّ ولا اخشابه  
ولا صويّب طرح في ملتقى الفارة  
يوم أظلم اللّيل جاه الضبّع وذيابه  
لولا الهوى ماسهر جفني ولا اذرفت  
عيني ولا كنت اسري الليل واشقى به  
وهكذا.. لقد طويت صحائف هؤلاء الشعراء الكبار، وبقيت لنا ذكراهم الطيبة، وقصائدهم  
الجميلة الرائعة تتردد في الأسماع، وتتناقلها الألسن جيلاً بعد جيل، وستبقى خالدة في  
ذاكرة الناس مدى الدهر.

وكم أتمنى لو تسنح الفرصة لي لأعرض المزيد من تجارب هؤلاء الشعراء الأماجد.  
وفي الختام لا بد من توجيه وافر الشكر وجزيل الثناء لهذا الجهد الكبير الذي بذله مؤلف  
الكتاب ليضعنا على مائدة المتلقي هذه الكنوز النبطية القديمة الزاخرة بالمعاني العميقة  
والمضامين المتنوعة والحميمية الآسرة التي نستمد منها القيم النبيلة وجماليات الحب  
الشفيفة ودفء الفنّ الشعبي العظيم.  
\*بدائع الشعر الشعبي القطري، جمع وتحقيق: علي عبدالله الفياض وعلي شبيب المناعي،  
ومراجعة: زايد محمد النعيمي، ط1، المجلس الوطني للثقافة والتراث، الدوحة - قطر  
2003، 378 صفحة من القطع الكبير.